النقد اللغوي عند عبد الله بن سلام الجمحي

د. غربي بكاي
المركز الجامعي أحمد بن يحي الونشريسي

مقدمة:

لا شك أن النقد كان ملازما للفكر الإنساني منذ وجوده على ظهر الأرض فالعقل البشري في سعي دائم ومستمر إلى اكتساب مزيد من العلم المعرفة، وكلما اكتشف جديدا نظر إلى القديم نظرة نقد وتمحيص ليبيّن مافيها من عيوب ونقائص، والمنتوج الأدبي من شعر ونثر وخطابة .... لم يخرج عن هذا، فكان كل من الشاعر والأديب والمفكر يحاول إخراج ما أبدعه في أحسن حلة وأبهى صورة وإذا ما بدا له ماينقص من إبداعه هذا عاد إليه بالتنقيح والتصحيح، وفي كثير من الأحيان كان المبدع لا يرى عيوب نفسه فكان غيره ينبهه على ذلك من الشعراء أو النقاد أو من له دراية بنوع الفن الذي يكتب فيه، وقد أجمعت الروايات التاريخية على أنّ أول عمل قام به علماء العربية لحمايتها من اللحن هو ضع علامات الإعراب من ضم وفتح وكسر من طرف أبي الأسود الدؤلي، ووضع نقط الإعجام من طرف نصر بن عاصم الليثي، ثم تواصلت جهود العلماء فقاموا بجمع اللغة – شعر ونثر- واختلف البصريون مع الكوفيين في ذلك فالبصريون حددوا قبائل معينة لاعتقادهم أنّها القبائل التي لاتزال تحافظ على فصاحتها، بينما أخذ الكوفيون من جميع القبائل فكانت المادة اللغوية عندهم أوفر وأكثر وبعد عملية الجمع والتدوين قام العلماء بتصنيف المادة اللغوية ثم استنباط القواعد منها، فعلمهم بدأ وصفيا وانتهى معياريا، أي أن هذه القواعد التي قعّدوها كانت معياراً يزنون به كل مسموع فما كان موافقاً لهذه القواعد فهو صحيح ومقبول عندهم وما خالفها فهو خطأ في نظرهم، وينبغي على الشاعر أو الأديب أو غيره من الناطقين بالعربية أن يبني كلامه وفق هذه الأسس والمعايير وهم بهذا يمارسون عملية نقد لغوية مركزين في ذلك على التوضيف الصحيح للمفردات والتراكيب ناسين بذلك أو متناسين خيال الشاعر " فالناقد اللغوي كان لا يعنى بجو القصيدة وخيال الشاعر قدر عنايته بلغته ومتابعته مواطن أخطائه والتحقق من صحة استعمالاته في اللغة والنحو الصرف"[1]

فوقع الصدام بين الفريقين فالنحاة يرون أنّهم حراس على اللغة وأمناء عليها والأدباء والشعراء يرون أنّ اللغة أوسع وأكبر من أن تُضيّق بقواعد وقوانين جامدة.

مفهوم النقد: تستعمل كلمة نقد بمعنى العيب ومنه حديث أبي الدرداء " إن نقدت الناس نقدوك إن تركتهم تركوك، أي إن عبتهم، وتستعمل بمعنى أوسع وهو تقويم الشيء والحكم عليه بالحسن أو القبح وهو يتفق مع اشتقاق الكلمة فإنّ أصلها من نقد الدراهم لمعرفة جيدها من رديئها، فمعنى النقد هنا استعراض القطع الأدبية لمعرفة محاسنها ومساوئها "[2]

والنقد هو تخليص جيد الشعر من رديئه يتضح ذلك من قول قدامة بن جعفر "ت327هـ"في مقدمة كتابه نقد الشعر مبينا سبب تأليفه كتابه "نقد الشعر:" ولم أجد أحداً وضع في نقد الشعر وتخليص جيده من رديئه كتاباً "[3]

والنقد اللغوي: هو الذي يحكم فيه على أساس اللغة وقواعدها الأسلوبية واللغوية المقررة.

النقد قبل ابن سلام الجمحي:

كان علماء العربية يمارسون النقد اللغوي قبل أن تقعّد القواعد وتوضع الضوابط والحدود وميزانهم في ذلك موافقة العربية من جانب الصوت والتركيب والدلالة، وكان هناك تفاوت بينهم كُلٌّ حسب طبيعته وتكوينه، وما أوتي من علم ومعرفة وثقافة بالمجال الذي يمارس فيه النقد، ومن هؤلاء نذكر: عبد الله بن أبي اسحاق الحضرمي البصري - ت 117هـ- الذي كان مولى لآل الحضرمي: أخذ العلم عن نصر بن عاصم ويحي بن يعمر سُئل عنه يونس بن حبيب قال: هو والنحو سواء أي الغاية، كان أول من علّل النحو، وكان يتتبع الشعراء ويسألهم عن مخالفتهم لسنن

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

العربية، ومن ذلك ما عابه على الفرزدق لما قال: وعضّ زمان يا بن مروان لم يدع من المال إلاّ مسحتا أو مُجلّفُ

فقال له: بم رفعت أو مجلفُ، فقال له بما يسوءك وينوءك علينا أن نقول وعليكم أن تتأولوا، كما عاب عليه جرّ كلمة " رير " وحقها الرفع حينما قال الفرزدق:

مستقبلين شمال الشام تضربنا ... بحاصب كنديف القطن منثورِ

على عمائمنا يُلقى وأرحلنا ..... على زواحف تزجى مخها رير

فقال إنما هو بالرفع فغضب منه الفرزدق وهجاه بقوله:

لو كان عبد الله مولى هجوته ..... ولكن عبد الله مولى مواليا

فقال عبد الله: عذره شر من ذنبه، فقد أخطأ أيضا والصواب: مولى موال[4]

كما مارس الحضرمي النقد اللغوي من جانب الدلالة فقام بالشرح والتفسير أيضاً وذلك حينما حضر الفرزدق مجلس ابن إسحاق، فقال كيف تنشد هذا البيت:

وعينان قال الله كونا فكانتا فعولان بالألباب ماتفعل الخمرُ

فقال الفرزدق كذا أُنشده، فقال ابن إسحاق الحضرمي: ماكان عليك لو قلت فعولين؟ فقال الفرزدق لو شئت أن أُسبِّح لسبّحت ونهض فلم يعرف أحدُ في المجلس قوله لو شئت أن أُسبّح لسبّحت، فقال ابن أبي إسحاق: لو قال فعولين لأخبر أن الله خلقهما وأمرهما ولكنه أراد بهما يفعلان بالألباب ما تفعل الخمر[5]. وكان هنا تامة، والمعنى أن الله قال لهما أُحدثا فحدثتا، وكلمة " فعولان " خبر للمبتدأ " عينان "

وقد شاع التماس التخريج لما يأتي مخالفاً لكلام العرب المطرد، وسمّاه الفرزدق "التماس الحيلة " وقد عُرف عن ابن إسحاق أنه كان يلتمس الحيلة في توجيه ما يخالف القياس في كلام العرب المطرد.

واتبع الحضرمي تلميذه عيسى بن عمر الثقفي البصري ت 149هـ في تخطئة الشعراء إن هم خالفوا أو خرجوا عن المسموع من كلام العرب، وقد كان يقول: قد أساء النابغة في قوله:

فبِتُّ كأني ساورتني ضئيلةُ من الرقش في أنيابها السمُ ناقعُ

وكان عليه أن يقول: السم نافعاً وهو ينزع إلى النصب فيما اختلف فيه العرب[6]

ومن العلماء الذي كان لهم نقد لغوي عبد الملك بن قريب الأصمعي ت 216هـ له العديد من الآراء رفعته إلى مصاف النقاد، ومما جاء عنه أنه كان ينكر كلمة زوجة ويقولها زوج ويحتج بقوله تعالى: " أمسك عليك زوجك " فقيل له: إنّ الشاعر ذا الرُّمة يقول:

أذو زوجة بالمصر أم ذو خصومة أراك لها في البصرة اليوم ثاويا

فقال ذو الرُّمة ليس بحجة إذ طالما أكل البقل والمالح في حوانيت البقالين[7] وقد اكتسب ملكة في نقد الشعر وتقريضه نتيجة لكثرة ماحفظ من الشعر على اختلاف ألوانه وأنواعه حتى صار إذا سمع شيئا منه عرف صحيحه من خطئه، قال عن نفسه أحفظ ست عشرة آلاف أرجوزة، ويقال كان الرشيد يُسميه شيطان الشعر[8] لعلمه بأسراره ودقائقه وكان يحاول معرفة مايتعلق بالشعر من روايات وأخبار والمناسبة التي قيل فيها فإن لم يجد اكتفى بذكر اسم الشاعر ومناسبة الأبيات او القصيدة، وهذا يساعده في نسبة القول لصاحبه وفهم مدلوله، وقد جاء في إحدى الروايات أنه سُئل يوما عن معنى قول الخنساء في رثاء أخيها صخر:

يُذكّر بي طلوع الشمس صخر اً ..... وأذكره لكل غروب شمس

فقالوا: معنى ذلك أنها تذكره صباح مساء، قال لا ولكنها أرادت بقولها هذا أنها كانت تذكر أخاها صخرا عند طلوع الشمس وقت الغارة والغزو لأنه كان من الفرسان، وتذكره عند غروبها وقت القرى وإطعام الضيَّف لأنه من الأجواد، فقامو وقبّلوا يده[9].

ومن العلماء الذين كان لهم دور في نقد الشعر أبو عمر بن العلاء ت 154هـ قال عنه أبو الطيب اللغوي في مراتب النحويين "كان سيّد الناس أعلمهم بالعربية والشعر ومذاهب العرب "[10]

وفي نقده ملاحظات ذات طابع نحوي تتعلق بالتوظيف الصحيح لبنى الكلام حيث عاب على ذي الرُّمة إدخاله " إلاَّ" بعد ماينفك في قوله:

حراريج ما تنفك إلا مناخة ..... على الخسف أو ترمي بها بلداً قفراً

لأن إلاَّ لا تدخل مع "ما ينفك وما يزال، و"ما " مع هذه الحروف خبر وليست بجحد في رأي أحمد بن يحي، وفي رأي الأصمعي " ما " جحد و" إلاَّ " تحقيق فكيف يجتمعان[11]

ويروى أن أبا عمرو سأل أبا خيرة " أعرابي من بني عدي" عن قولهم استأصل الله عرقاتهم فنصب أبو خيرة التاء من عرقاتهم فقال أبو عمرو: هيهات يا أبا خيرة لان جلدك!

وذلك أن أبا عمرو استضعف النصب لأنه كان قد سمعها منه بالنصب، ومعنى قوله: لان جلدك أي صرت تلحن، وهذا

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

مصطلح شائع في زمانه للدلالة على الابتعاد عن الفصاحة كما شاع مصطلح فلان جرمقاني وفلان ليس بحجة ... إلى غير ذلك من المصطلحات الدالة عن الابتعاد عن الفصاحة وعدم الاحتجاج بقول من كان كذلك.

وقد وضع الأصمعي مواصفات للشاعر الفحل في قرض الشعر فقال:"لا يصير الشاعر فحلا حتى يروي أشعار العرب، ويسمع الأخبار ويعرف المعاني، وتدور في مسامعه الألفاظ، وأول ذلك أن يعلم العروض ليكون ميزانا له على قوله والنحو ليصلح به لسانه، وليقوم به إعرابه والنسب وأيام الناس ليستعين بذلك على معرفة المناقب والمثالب وذكرها بمدح أو ذم "[12]

والنقد يسير وراء أي إنتاج أدبي أو لغوي أو فكري فلم يكن النقد إلاّ بوجود الإبداع الأدبي، وما يميز النقد قبل ابن سلام الجمحي أنه نقد شفوي تناقله رواة اللغة والأدب جيلا بعد جيل مع القصائد والأخبار والأنساب، وقد استفاد ابن سلام في تأليف كتابه طبقات الشعراء من أراء سابقيه ومعاصريه وكانت تلك الآراء والملاحظات هي نواة عمله والمادة الخام التي قام بتمحيصها وتحقيقها وأضاف إليها وصبغها بصيغة البحث العلمي وسلكها في كتاب خاص هو خلاصة ماقيل إلى عهده في أشعار الجاهلية الإسلام.

ويقصد بطبقات فحول الشعراء أي أنهم نظراء ومتساوون في الرتبة والمنزلة، والفحل من الشعراء هو المفضل والبارز والمتميز والمتفوق في نظم الشعر.

لقد كانت الأفكار في النقد مبعثرة لا يربطها رابط حتى جاء ابن سلام فضم أشتاتها، وألف بين المتشابه منها بروح علمي قوي، وكتابه طبقات الشعراء من أقدم وثائق النقد المدونة حوى العديد من أراء العلماء والأدباء، انتفع بها جميع من جاء بعده واهتم بقضايا النقد، ومن أهم الأفكار التي أودعها ابن سلام في كتابه هذا مايلي: تحدث عن صناعة الشعر وقال إن الشعر صناعة وثقافة يعرفها أهل العلم وعاب على محمد بن إسحاق مولى آل مخرمة بن عبد المطلب أنّه نقل أشعارا لا علم له بها ونقل الناس عنه، وكتب في السيّر أشعارا لرجال لم يقولوا شعراً قط، ثم تحدث عن سبق البصريين إلى العلم باللغة والنحو فيقول: وكان لأهل البصرة في العربية قدمة بالنحو وبلغات العرب والغريب عناية ....

ثم تحدث عن عن علماء البصرة الأوائل وعن بعض أعمالهم كأبي الأسود الدؤلي ويحي بن عمر وميمون الأقرن وعنبسة الفيل وعبد الله بن اسحاق الحضرمي و.....

كما أخبر أن أبا عمرو بن العلاء كان أشدّ تسليماً للعرب وكان الحضرمي وعيسى بن عمر يطعنان على العرب ثم ذكر طريقة عمله في كتابه فقال ففصلنا الشعراء من أهل الجاهلية والإسلام والمخضرمين فنزلناهم منازلهم واحتججنا لكل شاعر بما وجدنا له من حجة، وما قال فيه العلماء ....." ثم ذكر المقياس المعوّل عليه في معرفة الشعر المنحول وهو الرجوع إلى الرواة الثقات ومن له علم بأخبار الشعراء والشعر، ثم تحدث عن قلة الشعر الذي وصل إلينا وبعدها تعرض للأوائل الشعر والشعراء وأول من جمع أشعار العرب هو حمّاد الراوية وكان غير موثوق به ينحل الشعر، ثم قام بتقسيم الشعراء الجاهليين إلى عشر طبقات كل طبقة تجمع أربعة شعراء ثم طبقة بعد العشرة وهم أصحاب المراثي ثم شعراء أهل القرى العربية وبعدها عرض شعراء الإسلام وقسّمهم إلى عشر طبقات، وأورد ابن سلام شروطا للناقد وإن لم يسمها شروطا وهي:

-العلم والمعرفة بفن الشعر: وهو أول ما بدأ به حديثه حيث قال: وللشعر صناعة وثقافة يعرفها أهل العلم كسائر أصناف العلم والصناعات منها ما تثقفه العين ومنها ما تثقفه الأذن ومنها ما تثقفه اليد ومنها ما يثقفه اللسان ..... ص 25/ 26

ومن **القضايا النقدية** التي تعرّض لها وهي الرجوع إلى أهل العلم والمعرفة في فن الشعر لأنهم أعرف الناس به وبقضاياه فهم مثل الصراف يعرف جيداً الدراهم والدنانير من رديئها فقال: قال قائل لخلف: إذا سمعت أنا بالشعر واستحسنته فما أبالي ما قُلت فيه أنت وأصحابك، فقال له: إذا أخذت أنت درهماً فاستحسنته فقال لك الصرّاف إنه رديء هل ينفعك استحسانك له؟

وعلى هذا الأساس يُعرف الشعر الحقيقي من المنحول وعلى كل من يروي الأشعار أن يكون على علم بها وبأصحابها، ولذلك عاب على محمد بن اسحاق استشهاده بالشعر لرجال لم يقولوا شعراً قط، ونقل الناس عنه ذلك فأفسد الشعر وهجنّه، وهو هنا يقرر قاعدة مهمة في نسبة الشعر لأصحابه وهي قاعدة أساسية في النقد اللغوي قال: وكان ممّن هجّن الشعر وأفسده وحمل كلّ غثاء محمد بن عبد المطلب بن عبد مناف، وكان من علماء الناس بالسيّر فنقل الناس عنه الأشعار وكان يعتذر منها

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

ويقول لا علم لي بالشعر إنّما أُوتي به فأحمله ولم يكن ذلك له عذراً فكتب في السيّر من أشعار الرجال الذين لم يقولوا شعرا قط وأشعار النساء فضلا عن أشعار الرجال ثم جاوز ذلك إلى عادٍ وثمود، أفلا يرجع إلى نفسه فيقول: من حمل هذا الشعر ومن أداه منذ ألوف من السنين والله يقول" وأنه أهلك عاد الأولى وثمود فما أبقى "، وهنا نبه على أمرهم وهو معرفة راوي الشعر والمدة بين الراوي والقائل والطريقة التي وصل بها الشعر إلى الراوي[13]

وبعد هذا يرد على ابن اسحاق هذا الشعر ويبرهن على فساد ما قام به فيستدل بآيات من القرآن الكريم تبيّن ان القوم المنسوب إليهم قول الشعر قد أهلكهم الله، قال الله عادٍ فهل ترى من باقية " ثم يوضح أنّ أول من تكلم بالعربية هو إسماعيل بن إبراهيم ثم يسوق روايات تثبت صحة ما ذهب إليه يقول أخبرني يونس عن أبي عمرو قال العرب كلّها ولد اسماعيل إلاّ جِمْير وبقايا جرهم ..... وقال عمرو بن علاء مالسان حمير بلساننا ولا عربيتهم بعربيتنا.

انتحال الشعر وسببه:

شاعت ظاهرة انتحال الشعر قديما، ومعنى انتحال الشعر هو وضع قصيدة ما أوبيت من الأبيات وإسناد ذلك لغير قائلة[14] كأن ينسبها لنفسه أو لأخيه أو أبيه أو لأي شخص يريده لغرض من الأغراض، وهذه المسألة تفطن لها ابن سلام فأخبر عنها لأن أولى مراحل النقد أن تنسب الشعر لقائله، ثم تفهم معناه، وبعد ذلك تنظر في جمله وتراكيبه وفنياته ليسهل بعد ذلك إصدار الحكم المناسب، قال ابن سلاّم : فلما راجعت العرب رواية الشعر وذكر أيامها ومآثرها استقلّ بعض العشائر شعر شعرائهم وما ذهب من ذكر وقائعهم، وكان قوم قلّت وقائعهم وأشعارهم، وأرادوا أن يلحقوا بمن له الوقائع والأشعار فقالوا على ألسُن شعرائهم ثم كانت الرواة بعدُ فزادوا في الأشعار " فالسبب في انتحال الشعر كما يرى ابن سلام هو قلة شعر بعض القبائل، والشعر ديوان العرب حامل لأيامهم وأنسابهم وأحسابهم ووقائعهم فقالوا أشعاراً ونسبوها لشعرائهم رغبة منهم في مضاهاة غيرهم ونقل الرواة تلك الأشعار الموضوعة دون نقد أو تمحيص فشاعت نسبتها إلى من نُسبت له، ويبين ابن سلام أنّ ذلك كان معروفاً لدى أهل العلم من الشعراء والرواة الثقاة وأنّ ذلك لم يكن بالأمر الصعب أو المشكل وإنما عضل بهم أن يقول الرجل من أهل بادية من ولد الشعراء أو الرجل ليس من ولدهم فيشكل ذلك بعض الإشكال "ص39.

ويرى طه حسين أن تفوق صنّاع الشعر هو الذي صعّب على نقاد الشعر أن يعرفوا ما وضعه أهل البادية من أولاد الشعراء، أو من غير أولادهم فيقول:" فلم يكن صناع الشعر جميعا ضعافا ولا محمقين، بل كان منهم ذو البصيرة النافذة والفؤاد الذكي والطبع اللطيف، فكان يُجيد الشعر ويحسن تكلفه ونحله، وكان فطنا يجتهد في إخفاء صنعته، ويوفّق من ذلك للشيء الكثير "[15]

كما يرى أن للعصبية القبلية دور بارز في انتحال الشعر فبعدما قدم قصصا عن الحروب بين القبائل العربية قال:" ثم اطمأنت العرب في الأمصار أيام بني أمية، وراجعت شعرها، فإذا قد ضاع أكثره وإذا أقله قد بقي، وهي بعد في حاجة إلى الشعر تُقدّمه وقودا لهذه العصبية المضطرمة، فاستكثرت من الشعر، وقالت منه القصائد الطوال وغير الطوال، ونحلتها شعراءها القدماء"[16]

ويقدم ابن سلام نموذجا عن الشعر الموضوع فيقول: أخبرني أبو عبيدة ان داود بن متمم بن نويرة قدم البصرة في بعض ما يقدم له البدوي في الجلب والميرة فنزل النحيت فأتيته أنا وابن نوح فسألناه عن شعر أبيه متمم وقمنا له بحاجته وكفيناه ضيعته فلما نفِذ شعرُ أبيه جعل يزيد في الأشعار ويصنعها لنا وإذا كلام دون كلام متمم، وإذا هو يحتذي على كلام فيذكر المواضع التي ذكرها متمم والوقائع التي شهدها فلمّا توالى ذلك علمنا أنه يفتعله" فهذا الإمتحان الذي وقع لابن متمم بن نويرة من عالميين بفنون الشعر جعلها يكتشفان وضع وانتحال ولد ابن متمم واحتذائه لأسلوب والده، ورغم محاولته تلك إلاّ أنهما عرفا أن ما يقوله هو له وينسبه لوالده، فهذا محاولة تدليس مكشوفة أمام عالمين بخبايا الشعر وأصحابه ومنه كان متمم بن نويرة وحماد الراوية من المتزيدين في الشعر، والطول في القصائد والكثرة في شعر المنسوب للشاعر مؤشر وعلامة دالة على انتحال الشعر.

قال الأستاذ طه أحمد إبراهيم:" أراد -أي ابن سلام – أن يحمل الذين يدونون الشعر على التنقية ويدعوهم ألا يتركوا للخلف إلا الثابت الصحيح، وأراد أن يُشعر الآتين بما يجب عليهم من الحذر والتبصُّر فيما يسند إلى الجاهليين، أراد خدمة الروح العلمية بإسناد كل قول إلى صاحبه، وكل شعر إلى عصره "[17]

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

تصحيح السند:

تفطن ابن سلام إلى مسألة تحقيق النصوص والتثبت منها فقام بتصحيح سند الأخبار والأشعار فيقول مثلا: أخبرني أبو قيس العنبري – ولم أر بدويا يزيد عليه – عن عكرمة بن جرير قال: قلت لأبي: يا أبه من أشعر الناس؟ قال: أعن الجاهلية تسألني أم عن أهل الإسلام؟ قلت: ما أردت إلا الإسلام فإذ ذكرت أهل الجاهلية فأخبرني عن أهلها، قال: زهير شاعرها، قلت: فالإسلام؟ قال: الرزدق نبعة الشعر، قلت: فالأخطل؟ قال: يجيد مدح الملوك، ويصيب صفة الخمر، قلت: فما تركت لنفسك؟ قال: دعني فإني نحرت الشعر نحرا ص64.

وأغلب الشعر الوارد في طبقات الجمحي مسند مباشرة إلى أصحابه، أما الذي تناول الجمحي إسناده بالتصحيح فهو على ثلاثة أنواع: 1- صحة إسناد ما اختلف رواته واجتمعوا عليه خلال مقابلة الجمحي للأسانيد 2- أما النوع الثاني فأقل درجة في الإسناد إذ يكتفي الجمحي برفع الشعر إلى راو واحد يسوق بعده الشعر المقصود تتصدر سند تلك الأشعار عبارات مثل " أنشدني له "أو " أنشدنيها " أو "سمعت فلانا ينشد " 3- النوع الثالث ضعيف الإسناد يُرفع إلى عام الناس مثل قوله: ويروي الناس لأبي سفيان بن الحارث يقول لحسان " ومما يروى من قديم الشعر قول دُويد بن زيد بن نهد "[18]

ومن مظاهر تصحيح السند الخاص بالأخبار نقل الخبر الواحد أحيانا عن راويين، والإشارة إلى عدالة الراوي أو تجريحه فقال مثلا عن أبي عمرو بن العلاء:" وسمعت يونس يقول: لو كان أحد ينبغي أن يُؤخذ بقوله كله في شيء واحد كان ينبغي لقول أبي عمرو بن العلاء في العربية أن يؤخذ كله " ص16

وتجريحه لمحمد بن إسحاق صاحب السيرة الذي أورد في كتابه أشعارا لرجال ونساء لم يقولوا شعرا قط كما أورد أشعارا لعاد وثمود ثم ردّ عليه بحجج نقلية من القرآن الكريم ثم حجج عقلية " ذكرناها سابقا "وبعد ذلك يعود الجمحي إلى تاريخ ميلاد الشعر العربي فيرى أنه قريب إلى عهد الإسلام فيقول: لم يكن لأوائل العرب من الشعر إلا الأبيات يقولها الرجل في حادثة، وإنما قُصّدت القصائد، وطُوّل الشعر على عهد عبد المطلب وهاشم بن مناف "

وإذا كانت هذه المسألة كانت معروفة لدى علماء العربية وعرفوا كيف يتعاملوا معها فإننا نجدها في العصر الحديث قد عادت إلى الوجود وأخذت منحى آخر وهو التشكيك في الشعر الجاهلي برمته فأثارت ضجة كبيرة في الأوساط العلمية والأدبية وكان رائدها هو المستشرق البريطاني ديفيد صموئيل مرجليون من خلال بحث نشره في مجلة الجامعة الأسيوية الملكية الإنجليزية بعنوان: أصول الشعر العربي the original arabi poetry

ومرجليوث شكك في وجود شعر جاهلي منقول إلينا لأن الإنتقال يكون بالكتابة أو الرواية الشفوية وهو يشكك في الطريقين معاً، وتبعه طه حسين في كتابه " في الأدب الجاهلي" ورد ذلك لأسباب سياسية ودينية وأسباب تعود للشعوبية وللقصاصين وناقلي الأخبار ورواة الشعر[19].

ويرى محمد أحمد الغمراوي أنّ طه حسين فيما حاول أن يبينه من أسباب ذلك لم يزد على أن اتّخذ ما قاله ابن سلام وما رواه صاحب الأغاني جرثومة تكاثرت تحت قلمه حتى غطت تلك الصفحات الكثيرة من كتابه، وكل الفرق بينهم وبينه أنهم اعتدلوا وتطرف، واقتصدوا وأسرف، ووقفوا بالحمل على الجاهليين عند حد الدليل ولم يقف عند حد، فلم يجعلو الشعر الجاهلي كله محمولا، وهو يريد أن يجعله محمولا كله ...."[20].

أسس المفاضلة بين الشعراء: اعتمد ابن سلام في تقسيمه للشعراء إلى طبقات على مبادئ في الحكم عليهم، وهذه المبادئ هي: 1- كثرة شعر الشاعر 2- تعدد أغراضه 3- جودته، وإن كان لبعض الشعراء قصائد جيدة ولم يُعرفوا بالكثرة يقدم المُكثر في نظم الشعر على المُجيد المُقل، فقال عن الأسود بن يعفر ص62 " وكان الأسود شاعرا فحلا وكان يكثر التنقل في العرب يُجاورهم فيذم ويحمد، وله في ذلك أشعار، وله واحدة طويلة رائعة لاحقة بأول الشعر، لو كان شفعها بمثلها قدّمناه على أهل مرتبته وهي:

نام الخَلِيُ فما أحسُ رُقادي والهمُّ مُحتضِر لديَّ وِسادي

ومن مبادئه النقدية المذكورة آنفا تفضيله للشاعر الذي يقول في أغراض متعددة على الشاعر الذي يُجيد في فن واحد، وعلى هذا وضع كُثيّر بن عبد الرحمن الخزاعي - وهو من الشعراء الإسلاميين – وضعه في الطبقة الثانية، ووضع جميل بن مَعمر في الطبقة السادسة، وقال في معرض حديثه عن كُثير "وكان لكُثيّر في التشبيب نصيب وافر، وجميل مقدّم عليه في النسيب، وله فنون في الشعر ما ليس لجميل، وكان جميل صادق الصبابة و، كان كُثيّر يقول ولم يكن عاشقا " ص168.

التفسير الأدبي:

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

للنقد مهمتان أساسيتان هما التفسير والحكم، وهاتان المهمتان تأتيان بعد القراءة والفهم، لأنه لا تفسير بدون فهم " ولفهم بنية عمل فلسفي أو أدبي لا مناص من تناول بنية كل واحد منهما بالدرس والتحليل ومحاولة معرفة مدى التحامها وتماسك أجزائها معها كلها، ولتفسيرها فلا مندوحة من ربطها ببنية خارجية أوسع تشكل أصلها التكويني المنبثقة عنه "[21].

وفي طبقات ابن سلام نجده يقدم دائما أراء سابقيه في الحكم على الشعراء، وهي أحكام عامة فيقول مثلا "كان أبو ذؤيب شاعرا فحلا لا غميزة فيه ولا وهن، قال أبو عمرو بن العلاء: سُئل حسان من أشعر الناس؟ قال: حيًّا أو رجلا؟ قال: حيا، قال: أشعر الناس حيا هذيل وأشعر هذيل غير مدافع أبو ذؤيب " ص56 ويقول عن ذي الرمة: يقال إنَّ ذا الرُّمة راوية راعي الإبل، ولم يكن له حظ في الهجاء ص169.

ولعلم ابن سلام بالشعر ورجاله دور في تمحيص الأشعار فقبل ما قبل ورفض ما رفض كما استفاد من أراء سابقيه ومعاصريه في نقد الشعر، ومعرفة الأصيل من المنحول فقال عن حسان بن ثابت رضي الله عنه - لما تحدث عن شعراء القرى العربية - حسان بن ثابت هو كثير الشعر جيده، وقد حُمِل عليه مالم يُحمل على أحد لما تعاضهت قريش واستبّت وضعوا عليه أشعارا كثيرة لا تليق به. ص 87.

وقال عن امرئ القيس: أخبرني أبان بن عثمان البجلي قال: مرّ لبيد بالكوفة في بني نهد فأتبعوه رسولاً سؤولاً يسأله من أشعر الناس ؟ قال الملك الضليل فأعادوا إليه قال: ثم من؟ قال الغلام القتيل غير أبان ابن العشرين يعني طرفة قال ثم من؟ قال الشيوخ أبو عقيل يعني نفسه، قال يونس كل شيء في القرآن فاتْبعْه أي طالبه، واتّبعه يتلوه فاحتجّ لامرئ القيس من يقدمه وليس أنه قال مالم يقولوا وكلنه سبق العرب إلى أشياء ابتدعها استحسنتها العرب واتبعه فيه الشعراء منه استيفاق صحبه والبكاء في الدّيار ورقة النسيب وقرب المأخذ، وشبّه النساء بالظّباء والبيض والخيل بالعقبان والعصي وقيّد الأوابد وأجاد في التشبيه، وفصل بين النسيب وبين المعنى وكان أحسن طبقته تشبيهاً ص 42.

ومن خلال هذا العمل النقدي الذي قدمه الجمحي يتبين بأنه ساهم في إرساء دعامة النقد اللغوي وقام بتأسيس رصيد مرجعي يستفيد منه كل لاحق في الأخذ والاستنباط.

غربي بكاي

فهرس الإحالات:

1)- إياد عبد المجيد إبراهيم الصمعي وجهوده في رواية الشعر العربي ط 1 مؤسسة الوراق للنشر 2001/ ص419

2)- أحمد أمين، النقد الأدبي، موفم للنشر 1992، ص7 .

3)- نقد الشعر، قدامة بن جعفر، تحقيق :محمد عبد المنعم خفاجي، طبعة دار الكتب العلمية بيروت لبنان ص61

5- مجالس العلماء لأبي القاسم عبد الرحمن بن إسحاق الزجاجي، تحقيق وشرح : عبد السلام محمد هارون، مكتبة الخانجي بالقاهرة، ط3، 1999م، ص 66 .

6- ينظر :المدارس النحوية: خديجة الحديثي، دار الأمل للنشر والتوزيع، اربد الأردن، ط3،ص 57

7)- الأصمعي صاحب اللغة وإمام الرواة، الدكتور رحاب عكاوي، دار الفكر العربي بيروت لبنان ط1، 1998، ص71.

8)- نزهة الألباء في طبقات الأدباء لأبي البركات كمال الدين عبد الرحمن بن محمد الأنباري، تحقيق : محمد أبو الفضل إبراهيم، المكتبة العصرية صيدا بيروت، ط1، 2003م، ص 102.

9)- الأصمعي صاحب اللغة ص 74 .

10)- عبد الواحد بن علي أبو الطيب اللغوي، مراتب النحويين، تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم، المكتبة العصرية صيدا بيروت، ط2002،1م، ص 28 .

11)- المرزباني أبو عبيدة بن موسى، الموشح في مآخذ العلماء على الشعراء في عدة أنواع من صناعة الشعر، تحقيق محمد علي البجاوي، دار نهضة مصر 1965ص 286 .

12)- الأصمعي صاحب اللغة وإمام الرواة ص .122

13)- طبقات الشعراء محمد بن سلام ت 231هـ، مع تمهيد للناشر الألماني جوزف هل ودراسة عن المؤلف والكتاب للمرحوم الأستاذ طه أحمد إبراهيم، منشورات علي بيضون، دار الكتب العلمية بيروت لبنان 2001.

14)- محمد عثمان علي، في أدب ما قبل الإسلام، دار الأوزاعي بيروت لبنان، 1986م، ص75.

15)- في الأدب الجاهلي، طه حسين، دار المعارف ط18، ص155 .

16)- في الأدب الجاهلي، طه حسين، 130 .

17)- تاريخ النقد الأدبي عند العرب من العصر الجاهلي إلى القرن الرابع، تأليف المرحوم الأستاذ طه أحمد إبراهيم، دار الكتب العلمية بيروت لبنان ط3، 2008، ص75 .

18)- ينظر :تأسيس الخطاب النقدي " أطروحة الجمحي، توفيق الزيدي ط1، الدار البيضاء 1989،ص16/15 .

19)- في الأدب الجاهلي، طه حسين ص168/116 .

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

20)- النقد التحليلي لكتاب في الأدب الجاهلي، محمد أحمد الغمراوي، المكتبة العربية بيروت لبنان 1981، ص219 .

21)- المنهج التقدي مفهومه وأبعاده وقضاياه، د. محمد سويرتي، أفريقيا الشرق2015،ص 54.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com